كيف كان عاقبة الظالمين آخر أمر المشركين بالهلاك ومنهم من يؤمن به أي من قومك من
سيؤمن بالقرآن ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيهم وربك أعلم بالمفسدين الذين لا
يؤمنون وإن كذبوك يا محمد فقل لي عملي وجزاؤه ولكم عملكم وجزاؤه وأنتم بريئون مما أعمل وأنا
بريء مما تعملون هذا كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وقوله لكم دينكم ولي دين وأنا الكلبي ومقاتل
هذه الآية منسوخة بآية الجهاد ثم أخبر أن التوفيق للإيمان به لا يعرف قدره منهم من يستمعون
إليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم إقامة تسمع الصم يريد عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون وهذا
تسلية من الله عز وجل لنبيه على استماعه وقيل يقول أنك لا تقدر تسمع من تسلية الله البصرة لا إن توفق
للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن إن الله لا يظلم الناس شيئا لأنه في جميع أفعاله متفضل أو عادل
ولكن الناس أنفسهم يظلمون بالكفر والمعصية **قوله** عز وجل ويوم يحشرهم قرأ حفص بالياء
والآخرون بالنون كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا حين يخرجون
من القبور كمعرفتهم في الدنيا لم يستطعوا لهول ما رأوا عاينوا أهوال القيامة وفي بعض الأخبار أن
الإنسان يعرف محبيه يوم القيامة ولا يكلمه هيبة وخشية قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما
كانوا مهتدين والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء أعظم منه وإما نرينك يا محمد في حياتك
بعض الذي نعدهم من العذاب أو نتوفينك قبل تعذيبهم فإلينا مرجعهم في الآخرة ثم الله شهيد
على ما يفعلون فيجزيهم به وقيل معنى الواو وقد مجاهد وكان البعض الذي أراه قبلهم بدر وغيره
أنواع العذاب بعد موتهم **قوله** عز وجل ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم وكذبوه قضي
بينهم بالقسط أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب قبل مجيء الرسل لا ثواب ولا عقاب وقد مجاهد
ومقاتل فإذا جاء رسولهم الذي أرسل إليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط وهم لا يظلمون
لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم شيء ولا يزاد في سيئاتهم ويقولون
أي المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد من العذاب وقيل قيام الساعة إن كنتم صادقين إن محمدا
وإنما عنك قل لا أملك لنفسي لا أقدر لها على شيء نفعا ولا ضرا أي لا دفع ضر ولا جلب نفع إلا ما شاء الله
أن أهلكه لكل أمة أجل مدة مضروبة إذا جاء أجلهم وقت فناء أعمارهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون أي لا يتأخرون ولا يتقدمون **قوله** قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا
يستعجل منه المجرمون أي ماذا يستعجل منه الله المشركون وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد
وقعوا فيه وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فيقول الله أفأنت إذا جئت على نفسك أثم إذا ما وقع قيل معناه
أهنالك وحينئذ بحرف عطف إذا ما وقع نزل العذاب آمنتم أي يا سيء وقت الناس وقيل آمنتم به أي
صدقتم بالعذاب وقت نزوله الآن وقيل استفهام أي يقال لكم الآن يومئذ حين وقع العذاب وقد كنتم به
تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا أشركوا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا ما كنتم تكسبون
في الدنيا ويستنبئونك أي يستخبرونك يا محمد أحق هو أي ما يعدنا من العذاب وقيام الساعة قل إي وربي
إنه لحق لا شك فيه وما أنتم بمعجزين أي بفائتين من العذاب لأن من عجز عن شيء فقد فاته ولو

ويستنبئونك

أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض أي أشركت ما في الأرض لافتدت به يوم القيامة والافتداء هاهنا
بدل ما يتجاوز به من العذاب وأسروا الندامة قال أبو عبيدة معناه أظهروا الندامة لأنه ليس ذلك الوقت
تغيير وتصنع وقيل معناه أصفوا أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفا من ملامتهم وتعييرهم وقضي
بينهم بالقسط فرق من عذابهم وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن
أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون **قوله** يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور أي دواء لما في الصدور أي شفاء لعمى القلب والصدر موضع القلب وهو أعز موضع في الإنسان
لجوار القلب وهداية من الضلالة ورحمة للمؤمنين والرحمة هي النعمة على المحتاج فإنه لولا هديه الله إلى كل شيء
فإنه لا يتأتى له رحمة وإن كان ذلك نعمة فإنه لم يتعرض في سياق **قوله** عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا فضل الله الإيمان ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وقال
بعض فضل الله الإيمان ورحمته الجنة بذلك فليفرحوا أي ليفرح المؤمنون أن جعلهم من أهله هو خير مما يجمعون
أي خير مما يجمعه الكفار من الأموال وقيل كلاهما خبر عن الكفار وقرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالتاء
يجمعون بالتاء وقرأ يعقوب كلاهما بالياء مخالفة خطابا للمؤمنين قل يا محمد لكفار مكة أرأيتم ما أنزل الله
لكم من رزق عبر بالإنزال لأن ما في الأرض من خير فمن ما أنزل الله من السماء من رزق من زرع وضرع فجعلتم منه
حراما وحلالا هو ما حرموا من الحرث ومن الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال الضحاك هو قوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا قل آلله أذن لكم في هذا التحليل والتحريم أم بل على الله تفترون على الله الكذب
يوم القيامة أحسبوا أن الله لا يؤاخذكم به ولا يعاقبكم عليه أن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا
يشكرون **قوله** عز وجل وما تكون يا محمد في شأن عمل من الأعمال وجمعه شؤون وما تتلو منه من الله من قرآن
نازل وقيل منه أي من الشأن من قرآن نزل فيه تبرحاطه وأمته فقال وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم
شهودا إذ تفيضون فيه أي تدخلون وتخوضون فيه والهاء عائدة على العمل والإفاضة الدخول في العمل
وقال ابن الأنباري سد فعون فيه وقيل تسيرون فيه والإفاضة الدفع بكثرة وما يعزب عن ربك وقرأ
الكسائي يعزب بكسر الزاي والآخرون بضمها وهما لغتان من مثقال ذرة أي مثقال ذرة ومن صلة والذرة
هي النملة الصغيرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك أي من الذرة ولا أكبر قرأ حمزة ويعقوب
برفع الراء فيهما على موضع المثقال قبل وصول من وقرأ الآخرون بنصبهما إرادة الكثرة وعطفا على الذرة
في الكثرة إلا في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ **قوله** عز وجل ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اختلفوا فيمن تستحق هذا الاسم قال بعضهم هم الذين ذكرهم الله فقال الذين آمنوا وكانوا يتقون وقال
قوم هم المتحابون في الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي الحسين بن محمد بن بشران إسماعيل بن محمد الصفار
ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن ابن حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الأشعري قال كنت
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن من عباد الله رجالا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم
من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم أعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم
فسر وجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشرق فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى
لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله تجعل الله وجوههم نورا وتجعل لهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)